

فكر

تلخيص محاضرة

# لقد تابت توبة!

رواء الاثنيين | د. هند القحطاني

١٤٤٥/١٥/٢٥ هـ

٢٠٢٤/٧/١ م



فكر

رحلة التوبة، رحلة العمر ووظيفته، طريق الجنة الذي ننشده، وطريق العبد الذي أحبه خالقه، طريق النجاة لا حرمنا الله جميعاً أن نسلكه.

صحابية من قبيلة جهينة تخطو خطواتها المتثاقلة نحو النبي ﷺ، يسكن قلبها ذنب كبير أثقل كاهلها، واعتصرها ألماً، فلم تقوى غير البوح به، والانتقال من حوار النفس والستر، إلى فضيحة أمام نبي الأمة ﷺ وصحبه الكرام وذويها، إلى حد يُقام عليها، غير أبهة به، وهي تعلم علم اليقين أن جزاءها الرجم حتى الموت، فلم تأبه بغير رضا الله، ولم تهتم بخراب دنياها في سبيل صلاح آخرتها.

جزاءها الرجم حتى الموت، فلم تأبه بغير رضا الله، ولم تهتم بخراب دنياها في سبيل صلاح آخرتها.

تقر الصحابة بذنبها للنبي ﷺ كما ورد في الحديث

الشريف: "أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ

حُبْلَى مِنَ الزُّنَى، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ خَدًّا

فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيَّ ﷺ اللَّهُ وَلِيَّهَا فَقَالَ: أَحْسِنُ

إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتَ فَأَتِنِي فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيَّ ﷺ اللَّهُ

ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ

صَلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ

اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ، قَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ

سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسَعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ

أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ؟" المصدر: صحيح مسلم

كان بإمكانها التوبة على انفراد على سجادتها،

وفي بيتها، والستر على نفسها عن فضيحة

وسمعة ستتلاشى بمجرد اعترافها، لكنها النفس

إذا استعظمت الجرأة على حدود الله، والجسد إذا

قيده الذنب وأثقله، فلا يرضى بغير رضی الله،

ولا يقبل بغير حكمه.



هذه الصحابية تجود بروحها للجواد ثمناً لرضاه عليها، وهي التي تعلم أن الرجم مصيرها، وأن ما ستعانيه من الآلام حتى الموت لا يعد شيئاً مقابل الآلام التي سكنت قلبها وأرهقت فؤادها، علمت الصحابية أن هناك تنوراً يسعد للزناة يوم لقياه فخافت وُلوجه، وعلمت أن الروح لخالقها، وأن الروح أمانة، فاستعظمت تسليم الأمانة وقد شابها شيء من النقص والقصور.

كيف هو حب الله وقد سكن قلب العبد؟! يستعظم ما عظم خالقه مستوحشاً في البعد عنه، وكيف هو حالنا وحال قلوبنا وقد تعايشنا نفوسنا مع الذنب، واستصغرت كبيرها بل ألفتها؟!

قال تعالى: "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ" يوسف: ٩

نتعايش مع الذنب، ونقرر وقت التوبة و طريققتها،  
وكأننا نضمن القبول استخفافاً بالله عز وجل واجترأء  
على حدوده، دون صدق، ودون ندم، ودون إقلاع  
عما مضى،

أهو تجرؤ على حدوده؟ أم جهل بها؟ أم أننا يأسنا  
من أنفسنا وكأن الشيطان قد نال منا؟! ولكن أين  
نحن من ذاك الرجل الذي أخبر به النبي ﷺ

فقال: "أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي.  
فقال تبارك وتعالى: أذنب عبي ذنباً، فعلم أن له  
رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال:  
أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبي  
أذنب ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب.  
ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال  
تبارك وتعالى: أذنب عبي ذنباً، فعلم أن له رباً  
يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. اعمل ما شئت فقد غفرت

لك" المصدر: صحيح ابن حبان

وأين نحن من قوله عز وجل مخاطباً عبده الذي تَلَطَّحَ بالذنب وأقر به، مستغفراً نادماً، مُقِرّاً وعازماً على عدم العودة: "لو أن ذنوبك بلغت عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي" المصدر: الترمذي

ذنوبك التي استعظمتها ليست عند الله بشيء، يغفرها ما دمت مستغفراً نادماً ومقلعاً عن ذنبك، وليس هذا بميدان التجرؤ والتسهيل للذنب والمعصية، لكنه تَيْئِيساً للشيطان الذي يحرقه العبد الصادق بداوم استغفاره.

القضية ليست بعدم العودة إلى الذنب أبداً، لا ليست هي بذاك، وإلا لصاغت العبد الملائكة، القضية قضية خالق عظيم، علم ضعف حال خلقه، وقلة حيلتهم وطبيعة خلقتهم، فأمرهم بالرجوع والتوبة في كل مرة، وبعد كل ذنب، والقرب بعد كل بُعد، ووعدهم بالقبول، وفرح بهم وبتوبتهم، وتبشيش عز وجل لهم، وهو الغني العظيم الكريم، الذي لا يحتاج توبة عبده، ولكنه أحبه فخاف عليه ناره.

إن طريق العودة بعد كل ذنب ليس بطريق سهل،  
فهذا صحابيٌّ آخر شارب للخمر، معتدياً على حد  
عظيم من حدود الله، مقر بذنبه، في كل مرة يأتي  
بها للنبي ﷺ بعد شربه لكؤوس الخمر يطلب  
حد الله عليه، وهو يعلم ألمه، ولكن يريد تكفيراً  
لذنبه، فيأمر ﷺ بإقامة الحد عليه في كل مرة،  
فيذوق هذا الصحابي مرارة الجلد، ويعلن توبته  
مراراً، ولكنها النفس البشرية التي تضعف  
لشيطانها وتستسلم له، فيعود لذنبه، فيشرب مرة  
ثانية، وثالثة، ورابعة، ويقام الحد في كل مرة بعد  
إتيانه، فيوبخه أحد الصحابة بقوله: أخذك الله، ما  
أكثر ما يؤتى بك! فيرد النبي ﷺ: "لا تقولوا هكذا؛ لا  
تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ" المصدر: صحيح البخاري

علم رسول الله ﷺ الرحمة المهداة ما يعترني  
الإنسان من ضعف، فوجه صحابته لمعالجته.

عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان له صديق حسن السيرة، حسن الخلق، سافر إلى الشام فتغير حاله إلى أن شرب الخمر، ومضى على ذلك سنين، وعمر -رضي الله عنه- في المدينة، وصاحبه في الشام، فجاء يوماً فإذا بأحدهم قادم من الشام، فيفرح عمر -رضي الله عنه- بلقيه ليسأل عن صاحبه، فتأتي الإجابة: ذاك أخو الشيطان، مازال يقترب الكبائر حتى وقع في شرب الخمر، فيحزن عمر -رضي الله عنه- لصاحبه، ويأسى لحاله، فينادي بكتاب فيكتب له: "غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ" غافر: ٣ والسلام" وينهي عمر رسالته، ويطلب ممن التفوا حوله بأن يدعوا لصاحبه، وترسل الرسالة إلى الشام، فيقرؤها صديقه: "غَافِرِ الذَّنْبِ" وعدني بالمغفرة، "وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ" قد حذرني عقابه...

"ذِي الطَّوْلِ" <sup>صل</sup> والطول الخير الكثير، "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" <sup>صل</sup>  
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ"، فلم يزل يرددّها على نفسه، ثم  
بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فما زال يكررها حتى  
بكى في لحظته، ثم تاب وحسنت توبته، فلما بلغ  
الخبر عمر -رضي الله عنه- قال: "هكذا فاصنعوا، أذاً  
لكم زلّة فسددوه، ووقفوه، وادعوا الله أن  
يتوب عليه، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه"، هذا  
فعل عمر -رضي الله عنه- بصاحبه، فماذا صنعت  
لصاحبك؟ وكيف كان صدق أخوتك حين زلت قدمه؟  
قم ليلىك تدعوا وتلهج بالدعاء له ليعود إلى طريقه  
فينجوا وتنجوا به.

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: "أرأيتَ فَنَ عمل الذنوبِ كُلِّها ولم يتركُ منها شيئاً وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها، فهل لذلك من توبةٍ؟ قال: فهل أسلمتَ؟ قال: أما أنا فأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنتَ رسولُ الله ﷺ قال: تفعل الخيراتِ، وتترك السيئاتِ، فيجعلنَّ الله لك خيراتٍ كُلَّهنَّ قال وغدَّراتي وفجَّراتي؟ قال: نعم قال: الله أكبرُ، فما زال يُكَبِّرُ حتى تَوَارَى" المصدر: الألباني

خلق الله عباده بنفخة من روح سماوية، مهما انغمست في الملمات الدنيوية باحثاً عن السعادة والراحة لن تجدها، فلا تسكن تلك الروح وتهدأ بغير الرجوع إلى خالقها، ولنا في قصة قاتل المئة نفس أسوء، ذاك العبد الذي أزهق ٩٩ نفساً بيده، تآقت نفسه إلى التوبة، كما في الحديث الشريف: "إنه قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ" المصدر: صحيح مسلم

ينظر الله إلى عبده من فوق سبع سماوات، يحاد في أرضه، وينتهك حرامه وحدوده لحاجة بشرية، وهو من خلقه، ويعلم ضعفه، ويعلم ما يعترني تلك النفس من قلق ووحشة، فينتشلها مما استقذرت نفسها عليه، ويصطفئها، فيكتب لها طاعة توفق إليها؛ لأنه أحب تلك النفس، وأحب ذاك العبد، فحبب إليه العودة ليدعوه ويرجوه، فينقذها من شر أحاط بها، ويستجيب لها، ويبدل سيئاتها حسنات: "إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" الفرقان: ٧٠

لا ذلك فحسب، بل يجعل ذاك العبد في مرتبة التائبين الذين يحبهم الله: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" البقرة: ٢٢٢

العبد المؤمن، والعبد المسلم يستعظم ذنبه،  
ويعلم ضعف بشريته، وأنه ليس بخالي من  
الذنوب، ويعلم علم اليقين أنه خلق ليكون مغ  
لاقاً للشر مفتاحاً للخير، ووقفاً عند كل معصية،  
وعند كل كلمة ألقاها فأذى بها أخيه، وعند كل  
ظلم وحق ضاع بينه وبين عبده من عباد الله، وعند  
كل نصيحة سوء، أو تسهيل لذنوبه، وعند ذنوبه  
جميعاً التي نسيها هو وأصاها الله، ذاك  
العبد التائب العائد في كل مرة، والخائف في  
كل زلة، هو عبد أحبه الله وتاب عليه بصدق توبته،  
ودفق الإيمان في قلبه ما أن عاد، شعور عارم  
يعتري العبد ذاك هو فيض الإيمان ورحمته بقلوب  
عبيد قيدهم ذنوبهم فقلبها الله حسنات: "قُلْ يَا  
عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن  
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" الزمر: ٥٣

كان النبي ﷺ يدعو فيقول: "اللهم اغفر لي ذنبي  
كله دقة وجله سره وعلايته" المصدر: صحيح مسلم

من علامات حب الله لعبده أن يعكر عليه صفو  
المعصية التي كان يستلذ بها، فلا يعود يشعر  
باللذة، وكأنها استجابة لدعوته حينما دعا:  
اللهم حبب إليّ الإيمان، وزينه في قلبي، وكرهه  
إليّ الكفر، والفسوق، والعصيان.

يقول ابن مسعود-رضي الله عنه:- لم يكن بيننا  
وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية سوى أربع  
سنين: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ  
اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ  
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" الحديد: ١٧

هؤلاء صحابة عاشوا مع النبي ﷺ، واهتدوا بهديه،  
وهم من خير القرون، وعاتبهم الله! فكيف بذنوبنا  
وقد بلغت عنان السماء؟ ذنوب استصغرناها كانوا  
يعدونها من الكبائر.

فلا يرضى الله لنا ولهم بغير التوبة والعودة  
إليه، فيبشرنا بقوله عز وجل: "اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا" الحديد: ١٧

هذه الأرض، أو هذه النفس التي ظننتها بوراً  
وليست صالحة للغرس، بالرغم من كل محاولات  
استنهاضها وإنعاشها، لا تياس، واعلم أن الله  
قادر على أن يحييها بوعده منه، لذا ندعوه با  
لاسم الأعظم الذي لا يرد فيه سائله إن دعاه به،  
فيحيي في قلبه حب النوافل بعد تركها، وحب  
القرآن بعد هجره، بل وحب أهله، وحب حفظه  
والعمل به، وحب الوقوف بين يديه.



# ما هي علامات التوبة؟



## العلامة الأولى | المسارعة في التوبة

الذين يسارعون في التوبة ولا يتأخرون عنها ، قال الله عنهم: "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ" آل عمران: ٣٥

يخبر الله عن من فعل الفاحشة، وظلم نفسه، ثم عاد تائباً مستغفراً، ووضعا ذنبه نصب عينيه، أنه من المتقين؛ لأن فيه من الميزات التي جعلته تقياً ميزة ذكر الله، وطلب مغفرته، وعدم الإصرار على الذنب، بل استعظامه، وعدم التعايش معه، ولو تكرر مراراً، قال الله - سبحانه وتعالى - عن ذلك العبد: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا فَسَّهْمُ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ"

الأعراف: ٢٠١

## العلامة الثانية | الاستعاذة من وسوسة الشيطان

الاستعاذة من شر الشيطان وجعل الأذكار جزءاً من يومك لأُغفل عنه أو يستهان به، فوظيفة الشيطان إغواؤك وتخذيلك، فلا تنس عدوك الأول منذ بدء الخليقة، من لا تسعده هدايتك ولا يفرح بتوبتك، بل يغتم لصلاحك، فهو يريدك أن تكون في غفلة دائمة لا تستفيق منها أبداً حتى يدرك الموت، فتكون ضمن جنوده، وتستيقظ على أسئلة لم تُعد لها جواباً، وعلى حذف منشورة مدون بها دقائق يومك وثوانيه، أسبوعك وشهرك، ليك ونهارك، خمسون ألف سنة أعدّها الله ليناقدش بها عمرك بأكمله، حينها لا وقت للعودة، ولا وقت للتوبة، ولا وقت للعمل والتحسين، فهلا أيقظت روحك واستنهضتها؟

كل ما عليك هو الاستعاذة من أضعف خلقه وبدء العمل.

ينغزنا الشيطان في صلاتنا، يحرمانا لذة الخشوع،  
فتنقضي الصلاة وأنت لا تعلم ما تلوت بها، ولا تعلم  
عدد التسبيح والتهليل، ولا تتذكر دعواتك، وإن كنت  
عبداً متذلاًّ أم لا..

تخيل أن تمر دنياك كصلاتك، دون تذكر مافيها من  
التفاصيل، متلخصة بالذنوب دون شعور بالتوبة،  
دون الرجوع إليه، ودون استعظام الذنب، كيف  
ستكون النهايات والإجابات يوم لقاءه؟ اللهم  
اجعلنا ممن يسمع القول فيتبع أحسنه.



## العلامة الثالثة | داوم المقاومة

قاوم وأعلن الولاء لله بمعرفة أن المعركة بينك وبين الشيطان مستدامة في مقاومة الذنب، ومجاهدة التوبة؛ لأنك مخلوق ضعيف، تذنب، فيأتيك الشيطان ليغويك بأن لا مجال للتصحيح والعودة، ولكنك تعلم أن الله عز وجل يراك من فوق سبع سماوات وأنت تجاهد نفسك، تغالبها فتغلبها بصدق يقينك، وعزم توكلك، وهذا ما يجب على الله منك، مراغمتك لذنبك.



## العلامة الرابعة | الصدق في التوبة

أن تكون صادقاً نادماً في توبتك، ولنا في توبة وحشي أسوة حسنة، وحشي هو الرجل الذي قتل حبيب النبي وعمه حمزة، ولم يكن قتله قتلاً عادياً، بل وحشياً كما كان طلب هند بن عتبة، التي اشترطت بقر بطنه، وإخراج كبده، وجدع أنفه، وإحضاره لها ثمناً لحرية ذاك العبد المشرك، فكان لها ما طلبت، وقُتل عم النبي، وقُتل الأمل الباقي لذاك اليتيم الذي فقد أبويه وعمه، ولم يبق له أهل وسند سواه، قُتل قتلةً عزَّ على النبي ﷺ حاله عند رؤيته، وتمر الأيام فتشتاق نفس ذاك العبد إلى الهداية، ويحب الدخول في الإسلام، فيأتي إلى النبي ﷺ معلناً توبته، ماداً يديه مصافحاً، عاد نادماً على ما فات، فيمد النبي ﷺ يده الشريفه مصافحاً ومستذكراً حال عمه، فيقبل توبته، ويعلن إسلامه، ثم يقول: "إن استطعت ألا تريني

وجهك" المصدر: صحيح البخاري



ويبدأ هنا الابتلاء منذ لحظة إسلامه، فيكون اختبار صدق توبته في رؤية وجهه الشريف الذي كان يتهافت إليه صعبه، لآحرمانا الله رؤيته، والشرب من يديه الشريفتين، فيعلم وحشي عمق الألم الذي أصاب به قلب النبي في أحب الناس إليه، فيتدحشى التصدر له، ويجلس في كل مرة بجانب المجلس، ويرى حربته التي قتل بها خير خلق الله، فيقسم بأن لا يدعها حتى يقتل بها أذنب خلق الله، فيدخل في حرب الردة، فيتح ينلمسيلة الكذاب، الذي لم يستطع سيف الله المسلول خالد بن الوليد قتله في ثلاث غارات في معركة عظيمة مات بها آلاف المسلمين، فلم تستطب نفس وحشي حتى قتل بذات الحربة مسيلة الكذاب.

صدق وحشي مع الله فصدقته، صدق في توبته واجتاز امتحانه في أحب الخلق، وندم على ما فاته ولم يعد إليه، وهذه شروط التوبة الصادقة.

اللهم اجعلنا من التائبين الصادقين المتقبلين، واجعل  
خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

للإطلاع على الدروس السابقة

تفضل بزيارة مدونة رَوَاء:

<https://rawaa.org>